Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد جرت عادة القوم بأن يقفوا على آثار النحو بالصرف، فإذا انضاف إلى هذا أن ابن الحاجب مصرى وأنه من رجالات القرن السابع، وأن مصر فى هذا العهد كانت الآخذة بنواصى العلوم، وأن العلماء آثروها بالإقامة فيها، وأن النور الكامل كان يشع منها دون سواها، وأن ابن الحاجب رحل إلى الشام، ولبث حقبة من الزمن فى دمشق، ودرس بجامعها فى زاوية المالكية، وأكبّ الناس على الاشتغال معه، وكان الأغلب عليه علم العربية ولابد أن يكون قد حمل معه كتابيه «الكافية» و «الشافية» إن لم يكونا قد سبقاه، ولابد أن يتمتع الناس فى القطرين حينًا من الدهر بهذين السفرين الجليلين دون أن يحفلوا بغيرهما مهما كان مبلغه من العلم، ما داما متحدين معه فى الغرض، فإذا جد مؤلف فى غير القطرين وكان فيهما مثله فى الغرض الذى ألف فيه فإنه يدخلهما متأخراً ويزيد فى تأخيره نسبته إلى المكان الذى نبع منه.

ولم يكن لدى القوم من مطابع تيسر لهم إذاعة مؤلفاتهم فى زمن وشيك.

الفنون التى نبغ فيها ابن هشام

لقد كان ابن هشام نحويًا لغويًا، مفسراً محدثًا، فقيهًا أديبا، آخذًا من كل فن بطرف، كدأب القوم الذين ترسم خطاهم، وسار على نهجهم، وكثيراً ما يتلقاك فى ترجمة أحدهم.

وكان من الفنون بحيث يقضى
له فى كل فن بالجميع

بيد أن تفوق ابن هشام كان كاملاً فى النحو، فهو نحوى عصره غير مدافع، وهو المجلى فى هذا العلم لا يشق له غبار ولا يسابق فى مضمار، انتهت إليه مشيخة النحو فى عهده، وأصبح فخر مصر فى عصره، وصار صاحب مدرسة حديثة يشار إليها بالبنان، وتسير بذكرها الركبان، وتشدّ إليها الرحال.

ولقد كان فى اللغة طويل الباع واسع الاطلاع، والنحو واللغة صنوان أو هما جناحان لابن هشام، بلغ بهما الأرب، وتطامن له معهما الأدب، وكان الرجل عبقريًا موهوبا، ذا قلب حافظ، ولسان لافظ، والذى يحفظ مختصر الخِرَقى فى أقل من ثلث عام بعد ما خلع برود الشباب لابد أن يكون كتاب الله وحديث مصطفاه ﷺ قد خالطا قلبه، ومارجا لبه، وهذا ما أفاض فيه، وفاضت به مؤلفاته، ولاسيما «شذور الذهب»، و «مغنى اللبيب».